ويفلسف ابن المقري في رثائه مسألة الموت والحياة فيقول إن الموت يروعنا أول قدومه ثم ما نلبث أن نستسلم له :

يروعنـا الموت عظما عند هجمته ... وننكر الامر حينـا ثم نعتـرف
كالشـاء قد روعت سربا فثاب لها ... رعبـا وألهاه عنها الروضة الانف
والدهر ما زال يبكينـا ويضحكنا ... بصرفه وعلى هـذا مضى السلف

وهاهم الناس قد أقاموا طيلة أوقاتهم في مأتم لهذا الموت :

راجع سلوك تسـلى الناس قاطبة ... فقد أقاموا على الاحزان واعتكفوا
فلا ترى غير ذي قلب بـه حـرق ... وغير دي مقلـة انسـانها يكـف

واذا تجاوزنا هذا النوع من الشعر سنجد فن الوصـف قد زاحم سائر الفنون الشعرية ودخل في اتجاهاته واشتهر من شعراء الوصف في ذلك الوقـت الاديب عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني والاديب ابن هتيمل الذي كان كثيرا مايصف المعارك ويصف أبطالها فمن ذلك وصفه لبعض الابطال يقول :

بكل سميـدع يضحي خضـابا ... بأنمـله النجيـع عن اليـرنا[1]
اذا عقـد الحيـا أبصرت أنسـا ... وان شهدوا الوغى أبصـرت جنا

ويصف ابن المقري معركة فيقول :

اذا ما غزا في موكب سار قبلـه ... من النصر والفتح المبـين مواكب
وحفت به تحت العجاج كتائـب ... أسـنتها فيـه نجـوم تواقـب
قد اطـردت أرسـانها وتنافست ... كما اطردت في السمهري الانابب
تراها جبـالا من حـديد وراءه ... تدافع ممـا ضقن عنها السباسب
تظل عواليهـا تظـلّ كأنّهـا ... اذا ذبن من حر الهجير الذوائب
وان حفظت في مشرع الطعن أرجيت ... عليهم من النقـع المثـار مضارب

---

(١) اليرنا : الحنا